

# التصاقب وأثره على الحكم الشرعي من خلال مسند الإمام أحمد بن حنبل

(٢)

## بحث في فقه اللغة

### كلية اللغات - جامعة المدينة العالمية

أ. فهد يحيى حسن مطهري

#### I. المقدمة

لا شك أن فهم اللغة العربية - بشتى علومها - مطلب مهم في فهم الشريعة الإسلامية ومدخل هام للفقهاء للقول بأرائهم في مسائل الفقه ومن بين علوم اللغة العربية التي ساهمت في التأثير على الأحكام الشرعية تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.

#### III. موضوع المقالة

تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني

الصقب في اللغة : القرب (١)، وجاء في مقاييس اللغة الصاد والقاف والباء لا يكاد يكون أصلاً؛ لأن الصاد يكون مرة في السين ، والبايان متداخلاً ، مرة يقال بالسين ومرة بالصاد ، إلا أنه يدل على القرب ومع الامتداد مع الدقة (٢).

والمقصود بتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني: هو تقارب الألفاظ لتقارب المعاني . وأول من ذكر هذا الباب ابن جنى في الخصائص تحت باب سماه بباب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ، حيث قال في مقدمة هذا الباب : " هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به. وأكثر كلام العرب عليه ، وإن كان غفلاً مسهواً عنه" (٣). ثم ذكر أنه على ضرب (٤):

الأول : اقتراب الأصلين الثلاثين كضباط وضيطار ، ولوقة وألوقه ، ورخو ورخود ، وينجوج والنجوج.

الثاني : اقتراب الأصلين ثلاثياً أحدهما ، ورابعياً صاحبة أو رابعياً أحدهما . وخماسياً صاحبه : كدمت ودمتر ، وسيط وسيطر ، ولؤلؤ ولؤلأ ، والضبغطي والضبغطرى .

الثالث : ومنها التقديم والتأخير على ما قلنا في الباب الذي قبل هذا في تقلاب الأصول ؛ نحو (ك ل م) و(م ل ك) و(م ك ل) ونحو ذلك . وهذا كله والحروف واحدة غير متجاوزة. لكن من وراء هذا ضرب غيره ، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني . وهذا باب واسع.

ومن ذلك قول الله سبحانه (( ألم تر أنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً )) (٥) أي : تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزهم هزاً ، والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين . وكانهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز ، لأنك قد تهز ما لا بال له ؛ كالجدع وساق الشجرة ، ونحو ذلك . أمثلته :

(ومنه العسف والأسف ، والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها ، والهمزة أقوى من العين ، كما أن أسف النفس أغلظ من (التردد) بالعسف فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين).

وقالوا: الغدر كما قالوا الختل والمعنيان متقاربان واللفظان متراسلان فذاك من " غ در " وهذا من " خ ت ل " فالعين أخت الخاء والذال أخت التاء والراء أخت اللام.

وقالوا جلف وجرم فهذا للقطر وهذا للقطع وهما متقاربان معنى متقاربان لفظاً لأن ذاك من " ج ل ف " وهذا من " ج ر م " (٦).

ومن الألفاظ المتصاقبة : التصاقب بين لفظتي: " نخم ونخع" ، وقد وردت هاتين اللفظتين في الحديثين التاليين:

الأول: حَدَّثَنَا عبد الله حدثنا أبي حدثنا عبد الرزاق حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ سَعِيدِ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي ثُمَّ يَتَنَحَّمُ تَحْتِ قَدَمِهِ ثُمَّ دَلَّكَهَا بِنَعْلِهِ وَهِيَ فِي رِجْلِهِ (٧).

والثاني: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ أَخْبَرَنِي الْجُرَيْرِيُّ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ الشَّخِيرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي نَعْلَيْهِ قَالَ فَتَنَحَّجَّ فَتَقَلَّهَ تَحْتِ نَعْلِهِ الْيُسْرَى قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُهُ حَكَهَا بِنَعْلَيْهِ (٨).

والنخامة والنخاعة تاتيان لمعنى واحد وهو: ما يخرج من الإنسان من حلقه من البلغم، وقال ابن الأثير (٩): النخاعة: البرقة التي تخرج من أصل الفم، مما يلي أصل النخاع، وقال أيضاً في تعريفه للنخامة (١٠): البرقة التي تخرج من أقصى الحلق. فالنخامة مشتقة من الجذر الثلاثي "نخم"، والنخاعة مشتقة من الجذر الثلاثي "نخع"، واللفظتان مشتركتان في الجذرين الأول والثاني، ويختلفان في الجذر الثالث، ويظهر لي أن سبب اختلافهما يرجع إلى من يقوم بهذا الفعل، وهو من يحدد هذا الصوت، إذ أنه عند اطباق الفم عند القيام بهذا الفعل ينتج عنه صوتا يحاكي لفظه " نخم" إذا كان هذا البلغم خارج من خيشومه، وإذا كان هذا السائل خارج من الصدر يكون في تلك الحالة فاتحاً فمه، فينتج من ذلك صوتاً يحاكي لفظه " نخع"، ومعنى ذلك أن المكان الذي يخرج منه هذا السائل هو من يحدد كل لفظه، فعند اطباق الفم يحصل "التنخم"، وعند فتح الفم يحصل "التنخع".

وللنخامة أو النخاعة عند العلماء تفصيلات، فمنها ما يخرج عند الصلاة أو في المسجد وحكمها من حيث الطهارة والنجاسة، ومنها ما يخرج من الصائم، وفيما يلي آراء العلماء في هاتين المسألتين:

المسألة الأولى: النخامة أو النخاعة من حيث الطهارة والنجاسة:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن النخامة طاهرة إن نزلت من الرأس أو خرجت من الصدر أو من أقصى الحلق . واختلفوا في حكم ما صعد من المعدة ، فذهب الشافعية وأبو يوسف من الحنفية إلى أنها نجسة (١١).

وذهب المالكية (١٢) والحنابلة (١٣) وهو المذهب عند الحنفية (١٤) إلى أنها طاهرة ، لأنها تخلق من البدن كنخامة الصدر والرأس ولأن " رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ النخامة - وهو في الصلاة - بطرف رداءه" (١٥) .

(٦) الخصائص ، ص ٤٠٥

(٧) رواه أحمد، حديث رقم: ١٥٨٧٥

(٨) رواه أحمد، حديث رقم: ١٥٨٨٤

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٧٢٣/٢

(١٠) المصدر نفسه

(١١) انظر بدائع الصنائع: ٢٧/١، وحاشية ابن عابدين: ٩٤/١، وتحفة المحتاج: ٢٩٤/١، ومغني المحتاج: ٧٩/١

(١٢) انظر الشرح الصغير: ٤/١، والخرشي: ٨٦/١، وكشاف القناع: ١٩١/١، والمغني: ١٨٦/١، وبدائع الصنائع: ٢٧/١

(١٣) انظر بدائع الصنائع: ٢٧/١، وحاشية ابن عابدين: ٩٤/١، وتحفة المحتاج: ٢٩٤/١، ومغني المحتاج: ٧٩/١

(١٤) انظر المبسوط: ٧٥/١

(١٥) رواه أحمد، حديث رقم: ٩١٠٢

(١) لسان العرب ، مادة : ص ق ب

(٢) مقاييس اللغة مادة : ص ق ب

(٣) الخصائص ، ص ٤٠٣

(٤) المصدر السابق

(٥) القرآن الكريم ، سورة مريم ، آية : ٨٣

ولهذا لا يُنْقَضُ الوُضوءُ بِصُغُودِهَا وَإِنْ خَرَجَتْ مِنَ الْمِعْدَةِ.

التَّخَنُّجُ فِي الْمَسْجِدِ :

ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّهُ يَحْرُمُ إِقَاءُ النَّخَامَةِ وَتَحْوِهَا فِي أَرْضِ الْمَسْجِدِ وَعَلَى جُذْرَانِهِ وَعَلَى حَصِيرِهِ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَصَانَ الْمَسْجِدُ عَنْ كُلِّ قَذْرٍ وَقَدَارَةٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ نَجَسًا كَالنَّخَامَةِ وَتَحْوِهَا (١٦).

المسألة الثانية: حكم ابتلاع النخامة أو النخاعة للصائم:

مذهب الحنفية (١٧)، والمتمم عند المالكية (١٨): أَنَّ النَّخَامَةَ سِوَاءَ أَكَاثَتْ مُخَاطَبًا نَازِلًا مِنَ الرَّأْسِ ، أَمْ بَلْغَمًا صَاعِدًا مِنَ الْبَاطِنِ ، بِالسَّعَالِ أَوْ التَّخَنُّجِ - مَا لَمْ يَفْحَشِ الْبَلْغَمُ - لَا يَفْطُرُ مَطْلَقًا .

وفي نصوص المالكية: إِنَّ الْبَلْغَمَ لَا يَفْطُرُ مَطْلَقًا ، وَلَوْ وَصَلَ إِلَى طَرْفِ اللِّسَانِ ، لِمَشَقَّتِهِ ، خِلَافًا لِخَلِيلِ ، الَّذِي رَأَى الْفَسَادَ ، فِيمَا إِذَا أَمَكُنْ طَرْحَهُ ، بِأَنْ جَاوَزَ الْحَلْقَ ، ثُمَّ أَرْجَعَهُ وَابْتَلَعَهُ ، وَأَنَّ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ (١٩).

وفي رواية عن أحمد أَنَّ ابْتِلَاعَ النَّخَامَةِ لَا يَفْطُرُ ، لِأَنَّهُ مُعْتَادٌ فِي الْفَمِ غَيْرَ وَاصِلٍ مِنْ خَارِجِ ، فَأَشْبَهَ الرَّيْقَ (٢٠) .

وَعِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ هَذَا التَّفْصِيلُ :

إِنْ اقْتَلَعَ النَّخَامَةَ مِنَ الْبَاطِنِ ، وَلَفْظَهَا فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ فِي الْأَصْحَحِ ؛ لِأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ مِمَّا يَتَكَرَّرُ ، وَفِي قَوْلٍ : يَفْطُرُ بِهَا كَالِاسْتِقَاءَةِ ، وَلَوْ صَعِدَتْ بِنَفْسِهَا ، أَوْ بَسَعَالِهِ ، وَلَفْظَهَا لَمْ يَفْطُرْ جَزْمًا . وَلَوْ ابْتَلَعَهَا بَعْدَ وُضُوعِهَا إِلَى ظَاهِرِ الْفَمِ ، أَفْطَرَ جَزْمًا . وَإِذَا حَصَلَتْ فِي ظَاهِرِ الْفَمِ ، يَجِبُ قَطْعُ مَجْرَاهَا إِلَى الْحَلْقِ ، وَمَجْهًا ، فَإِنْ تَرَكَهَا مَعَ الْقَدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ ، فَوَصَلَتْ إِلَى الْجُوفِ ، أَفْطَرَ فِي الْأَصْحَحِ ، لِتَقْصِيرِهِ ، وَفِي قَوْلٍ : لَا يَفْطُرُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا ، وَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَنِ الْفِعْلِ . وَلَوْ ابْتَلَعَهَا بَعْدَ وُضُوعِهَا إِلَى ظَاهِرِ الْفَمِ ، أَفْطَرَ جَزْمًا (٢١).

وَنَصَّ الْحَنَابِلِيُّ عَلَى أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الصَّائِمِ بَلْغُ نَخَامَةٍ ، إِذَا حَصَلَتْ فِي فَمِهِ ، وَيَفْطُرُ بِهَا إِذَا بَلَعَهَا ، سِوَاءَ أَكَاثَتْ فِي جُوفِهِ أَمْ صَدْرِهِ ، بَعْدَ أَنْ تَصَلَ إِلَى فَمِهِ ؛ لِأَنَّهَا مِنْ غَيْرِ الْفَمِ ، فَأَشْبَهَ الْقَيْءَ ، وَلِأَنَّهُ أَمَكُنْ التَّحَرُّزُ مِنْهَا فَأَشْبَهَ الدَّمَ (٢٢).

#### المصادر والمراجع

(١) ابن منظور، عبدالله، لسان العرب، ( مصر : مطبعة دار الحديث، ١٤٢٣ هـ

- ٢٠٠٣ م )

(2) الكاساني، علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ

(٣) البهوتي، منصور بن يونس، شرح منتهى الإرادات، عالم الكتب، ١٤١٤ هـ

(4) ابن قدامة، موفق الدين بن عبد الله، المغني، مكتبة القاهرة ١٣٨٨ هـ

(5) الأصبحي، الإمام مالك بن أنس، المدونة الكبرى، دار الكتب

العلمية، ١٤١٥ هـ

(6) الخطيب، شمس الدين محمد بن أحمد، مغني المحتاج، دار الكتب

العلمية ١٤١٥ هـ

(7) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، دار الفكر

(8) الرافعي، أبي القاسم عبد الكريم، العزيز، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ م

(9) البهوتي، منصور بن يونس، كشاف القناع، دار الفكر، ١٤٠٢ هـ

(10) السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد، المبسوط، دار المعرفة، ١٤١٤ هـ

(11) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٣٢ هـ

(12) المكي، شهاب الدين أحمد، تحفة المحتاج، دار إحياء التراث العربي

(13) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الغد الجديد، ٢٠٠٦ م

(14) أمين، محمد، حاشية ابن عابدين، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣ م

(15) التهانوي، ظفر أحمد، إعلاء السنن، إدارة القرآن الكيم

(16) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، (مصر : مطبعة دار الحديث ١٤٢٩ هـ

- ٢٠٠٨ م )

(17) الفيرو آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة المختار،

١٤٢٦ هـ

(18) الدردير، أحمد محمد، الشرح الصغير، مكتبة أيوب كانو، ٢٠٠٠ م

(19) الخرشبي، محمد بن عبدالله، حاشية الخرشبي، دار الفكر

(20) ابن جنبي، عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ط ٢ ( لبنان ،

مطبعة : عالم الكتب ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م )

(21) مسند الإمام أحمد بن حنبل

(22) القرعاوي، عبدالله بن ابراهيم، المحصل في مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار

(١٦) انظر: إعلاء السنن، ١٦٦/٥-١٦٨، والمدونة الكبرى، ١/١٩١

(١٧) انظر حاشية ابن عابدين، ٣/٣٩٤، والبحر الرائق، ٢/٤٧٧

(١٨) انظر حاشية الدسوقي، ١/٥٢٥، وانظر العزيز، ٣/١٩٩

(١٩) المراجع السابقة

(٢٠) المغني: ٣/١٠٧

(٢١) انظر مغني المحتاج، ١/٦٢٦، و انظر روضة الطالبين، ٢/٢٢٤

(٢٢) انظر المغني: ٤/٣٥٥، وانظر شرح منتهى الإرادات: ٢/٣٦١

العاصمة، ١٤٢٧ هـ

(23) ابن نجيم، زين الدين بن ابراهيم البحر الرائق، دار الكتاب الإسلامي

(24) الدسوقي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح

الكبير، دار الفكر

(25) روضة الطالبين

(26) القرآن الكريم